Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 50, No. 5, Supplement 1, 2023

Deanship of Scientific Research

Jordanian Woman as a Leader between Individual Resources and Social Conditions: A Comparative Case Study of Jerash and Al-Karak in Jordan

Maysoon Otoom[1]*, Khader Otoom[2]

[1] Center for Women's Studies, The University of Jordan, Amman, Jordan

[2] Department of Anthropology, Faculty of Archaeology and Anthropology, Yarmouk University, Irbid, Jordan

Received: 22/10/2021
Revised: 14/12/2021
Accepted: 27/3/2022
Published: 30/11/2023

* *Corresponding author:*
madleencastrop@googlemail.com

Citation: Otoom, M., & Otoom, K. . (2023). Jordanian Woman as a Leader between Individual Resources and Social Conditions: A Comparative Case Study of Jerash and Al-Karak in Jordan. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *50*(5), 654–663.
https://doi.org/10.35516/hum.v50i5.6995

© 2023 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: The study purpose was to identify the personal resources and social conditions that enhance the leadership skills amongst women in Jordan. It aimed to shed light on the stereotypes, , and beliefs that underlie all aspects of gender-based discrimination in the field of study.

Methods: The study relied on the analytical induction methodology. which is implemented by "designation" that is based on asking people "the designator" whether some women "the designatee" were more influential than others in their surroundings. The methodology was applied through conducting several FGDs among various age groups, as well as individual interviews with women who were designated as transformational leaders.

Results: The study showed that ethnic affiliation in Jerash and Al-Karak played an important role in the way in which the concepts of masculinity and femininity were socially constructed, and thereby the way in which the concept of women leadership was constructed in those two cultures. The culture of (i.e. Al-Karak) seemed to be more tolerant and had wider space for the creation of female leaders in comparison with cultural environments of (i.e. Jerash). The study also showed that designated female leaders were usually inheritors of a high-level symbolic capital (i.e. middle/upper social class, sophisticated education, etc…). Furthermore, the role model of most female leaders was more likely their father or other charismatic male leaders.

Conclusions: The study recommends to build solid foundations that can be followed by educational curricula, and girls' leadership training programmes.

Keywords: Transformational Leadership; Gender; Social Morphology.

المرأة الأردنيّة القائدة بين الموارد الفرديّة والشروط الاجتماعية: دراسة حالة مقارنة بين مدينتي جرش والكرك في الأردن

ميسون العتوم[1]، خضر العتوم[2]

[1] مركز دراسات المرأة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

[2] قسم الانثروبولوجيا، كلية الآثار والانثروبولوجيا، جامعة اليرموك، إربد الأردن.

ملخّص

الأهداف: هدفت هذه الدراسة إلى تحديد الموارد الفردية والشروط الاجتماعية التي تعزز المهارات القيادية للمرأة، كما هدفت إلى تسليط الضوء على القوالب النمطية والعقليات التي تكمن وراء جميع أوجه التمييز القائمة على النوع الاجتماعي في مدينتي جرش والكرك.

المنهجية: اعتمدت هذه الدراسة منهجية الاستقراء التحليلي الذي يتمثل في المزج بين الاهتمام بالتفاعلات والتجربة الحياتية التي تتمثل في التعيين، أي البدء بطرح أسئلة على أشخاص حول وجود نساء مؤثرات (المعيّنات) في محيطهم المباشر، وذلك من خلال مجموعات ممثلة من فئات عمرية مختلفة من مجتمعي الدراسة والمقابلات الفردية مع القائدات المعينات.

النتائج: خرجت الدراسة بنتائج ثلاث هي أولًا: أن الانتماء الإثني المتباين بين مدينة جرش التي تعود أصولها إلى الفلاحة ومدينة الكرك المتطورة عن أصول بدوية كان عاملًا مؤثرا في الطريقة التي تبنى فيها مفاهيم الذكورة والأنوثة، وهكذامفهوم القيادة، فظهرت البيئة المتطورة عن الثقافة البدوية أكثر تسامحًا وأوسع هامشًا لخلق نساء قائدات بالمقارنة مع البيئة الاجتماعية الفلاحية .ثانيًا: أظهرت الدراسة أن القائدات عمومًا لا ينطلقن من الصفر بل من رأس مال رمزي وثقافي او طبقة او تحصيل دراسي او مركز إجتماعي رفيع. ثالثًا: أن معظم القائدات ومن كلا المدينتين كنَّ متأثرات في قدوة هي على الأغلب شخصية الأب أولًا ثم قدوة من شخصيات قيادية كاريزماتية أغلبها من الرجال، مما يعني أن بناء الجندر عند هؤلاء القائدات كان أميل إلى تمثّل الصفات التي احتكرتها الذكورة كالقوة والشجاعة والكرم والفصاحة ... إلخ.

الخلاصة: توصي الدراسة بالاهتمام بهذه النتائج لبناء أسس متينة يمكن ان تتبناها المناهج التعليمية والتربوية وبرامج تدريب الفتيات على القيادة ومهارات التأثير.

الكلمات الدالة: القيادة التحويلية، البناء الجندري، الرأسمال الرمزي، الفضاء المورفولوجي.

المقدمة:

منذ الستينيات القرن الماضي وخاصة بعد هزيمة 67، شهد المجتمع الأردني تحولات كبرى أحدثت رجّة هائلة في ما يتعلق بوضعية المرأة. فلم يعد من المسلمات عند الرجل و خاصة عند المرأة أن تبقى هذه الأخيرة خاضعة لدورها التقليدي المتمثل في الامومة وبدأت تتأصل هذه الرغبة في الطبقات العليا بداية ثم سرعان ما انتشرت شيئا فشيئا في الطبقات الوسطى والطبقات الكادحة على حدّ السواء إلى ان اصبحت مطلبا اجتماعيا يتمثل أساسا في الرغبة في انتقال المرأة من وضعية المرأة الأمّ إلى وضعية المرأة المواطنة و من تقوقعها في ما يسمى بالشأن الخاص (Private sphere) إلى رغبتها في العمل خارج البيت و خارج العائلة و في المشاركة في تسيير الحي و في الشأن العام (Public sphere).

و رغم دعم الدولة لهذا المسار و تشجيعها لتعليم النساء، فإنّ هذه النقلة التاريخية من المرأة الأمّ إلى المرأة المواطنة ما زالت متعثرة و لم تتشكّل بعدُ بطريقة جليّة إلى حدّ هذه الساعة. و لعلّ ذلك يعود بالدّرجة الاولى لأسباب انثروبولوجية عميقة أي إلى إيتوس (Habitus) أو قل إلى رواسب ثقافية كانت و ما تزال محرّكة و حاضنة و مكرّسة لهيمنة الرّجال على النساء و ما ينتج عن هذه الهيمنة من عقبات تحُول دون وصول المرأة إلى مواقع أخذ القرار أي إلى مواقع القيادة. عندما نتذكر كيف أن بعض التيارات المحافظة كانت في أثناء الربيع العربي تطالب المرأة بميدان التحرير بالقاهرة بالعودة إلى البيت و الاهتمام بالطبخ و تربية الاطفال ندرك كم أن هذه العقلية الرافضة لتحرير المرأة ما زالت ضاربة في مجتمعاتنا العربية. و على الرغم من كل هذه العقبات الموضوعية و البنيوية، فإن بعض النساء الاردنيات استطعن بعد نضال و مقاومة و كرّ و فرّ وجهد جهيد الولوج إلى مواقع التأثير و القيادة التي كانت و ما تزال، كما أسلفنا القول، مواقع محتلّة و محتكرة في أغلب الأحيان من الرّجال.

في هذه الورقة، سوف لن نتحدّث على هذه العقبات إذ سنسلط الضوء على هؤلاء النساء اللاّتي استطعن الولوج الى مواقع القيادة و اخذ القرار و سيكون البحث بمدينتين اردنيتين واحدة بشمال البلاد ألا وهي مدينة جرش و الاخرى بالجنوب ألا وهي مدينة الكرك و سوف نتساءل عن الآليات و الأدوات والظروف التي من خلالها تتمّ عملية صناعة المرأة القائدة. ولقد ارتأينا، لحلّ هذه الإشكالية، ان نوجه البحث الى واجهتين.

في محطة أولى، سنحاول أولا رصد رؤية الانسان العادي لما يمكن ان يسمى "بفبركة" أو "بصناعة" المرأة القائدة و ذلك من خلال اعطائنا الكلمة عن طريق المجموعات المركزة (Focus groups) لعينات من الشباب والكهول والشيوخ من الجنسين على حدّ السّواء. و سنعمل ثانيا على الاستماع لنساء قائدات لنرى كيف يتحدثن عن انفسهن كقائدات و ما هي، من خلال تجربتهن، أهم المسالك و اهم الآليات التي صنعت منهن قائدات.

و على واجهة ثانية، سوف نحاول ان لا نقطع مع ما يقوله الانسان العادي بل سنحاول الإنطلاق من نصه ذاته لنعمل على تعميقه وتعقيده للوصول الى ما اسماه غيرتز(Geertz) بالتأويل أو صناعة المعنى. أي أن ننطلق من خطاب الانسان العادي و من خطاب النساء القائدات،إلى أن نصل عند إرجاعنا لهذا الخطاب البييوغرافي إلى التاريخ و مواجهتنا لهذا الخطاب المحلي (Local knowledge) بالعام و تحويله لخطاب أنثروبولوجي(Scientific knowledge) . من هذا المنطلق يصبح الواقع بالنسبة إلينا نصّا كُتب بداية من ساكنيه أي من المبحوثين أنفسهم أو أنفسهن. وهو نصّ يكتنفه كثير من الغموض ويحتوي على كثير من الفراغات. وهنا تتمثّل مهمّة الباحث في أن يقوم بقراءة هذا النّص وتأويله وترجمته وتعقيده بما يسمى بعمليّة إعطاء المعنى. فكيف سيتم ذلك؟.

أهداف الدراسة:

الهدف العام

- تعزيز تمكين المرأة بغاية تطوير القيادة النسائية

الأهداف الخاصّة

- تحديد الموارد (الفردية) والشروط (الاجتماعية) التي تعزز المهارات القيادية للمرأة (القدرة على التأثير).
- تحديد العوائق التي تحول دون تعزيز قوّة التأثير والمهارات القيادية لدى المرأة.
- تسليط الضوء على القوالب النمطية والعقليات والمعتقدات التي تكمن وراء جميع أوجه التمييز واللامساواة القائمة على النوع الاجتماعي التي لا تزال المرأة تعاني منها.

منهجية الدراسة:

اعتمد هذا البحث على منهجية طريفة ومبتكرة تتجاوز التمشّي المعتاد وتقوم على ما يسمّيه جاك كاتز الاستقراء التحليلي" الذي يتمثّل في المزج بين الاهتمام بالتفاعلات والتجربة الحياتية والسيرورات التاريخية. هذه الرحلة عبر الزمان والمكان حول القيادة النسائية. تستوجب الاعتماد على منهجية مبنية على مقاربة متعدّدة الفضاءات التي تعدُّ أنّ الميدان يتجاوز التحديد المكاني والزماني التي تعيد التفكير في وقت البحث الميداني وفضائه. تعتمد المنهجية التي نقترحها على العمل الذي قام به كاتز ولازارسفيلد (Katz and Lazarsfeld, 2009) التي تتمثّل في التعيين أي البدء بطرح أسئلة على أشخاص

(المعيّنين) حول وجود نساء مؤثرات (المعيّنات) في محيطهم المباشر، وهي إحدى طرق البحث النوعي.

1- عمليّة اعطاء المعنى (**Making sense**)

كلّنا يعرف أنّ عمليّة إعطاء المعنى أو قل عمليّة البناء تمرّ عبر مرحلتين أساسيتين: مرحلة الفهم (Comprehension) و مرحلة التأويل (Interpretation). حيث يعمل الباحث في المرحلة الأولى على " أن يجزّأ ليفهم" كما يقول ديكارت (Descartes). والفهم يعني هنا، تحديدا، البحث في العلاقة بين عناصر الموضوع الذي نودّ بناءه أي دراسته علائقيا بمعزل عن المحيط أو الظروف التي أنتجته للكشف عن ما يسمّى بالعلاقات الدّالة أي عن التواتر أو قل عن المتكررات (Repetition). أمّا في ما يتعلق بالتأويل، فإن مهمّة الباحث تكمن في تجميع ما قام بتجزئته في مرحلة الفهم أي في إرجاع ما تمّ عزله أو فصله من عناصر إلى ظروف النشأة و التّحقيق و الاستعمالات و ذلك لتعميق المعنى.

فالتأويل يعني إرجاع الجزء إلى الكل و الذاتي إلى العام أو قل بعبارة أخرى إخضاع التجربة الفردية أو السّيرة الذّاتيّة أو البيوغرافيا (Biography) و كلّ ما هو خاصّ إلى التّاريخ (History) كما يقول ميلز. (Mills) و الذي نعني به هنا ببناء التاريخ أو ببناء الكل(Total) أو ببناء الكلية (Totality) هو ما يسمّيه ميلز (Mills) بالمخيال السوسيولوجي (Sociological imagination) أي بهذا الجهد الذي يبذله الباحث من اجل أن يخلق ما أمكن خلقه و يبتكر ما أمكن ابتكاره من تجانس أو تطابق أو تناظر أو أي علاقة أخرى يمكن أن تكون بين التجربة الذاتية التي نحن بصدد دراستها و الأسباب الكامنة و الخفيّة التي تحرّكها و تغذّيها و تتحكّم فيها.

صحيح، أنّه عند قراءتنا لأعمال كبار مؤسسي العلوم الإنسانية مثل ماركس (Marx) أو سوسير (Saussure) أو فرويد (Freud) أو دركهايم (Durkheim) أو موس (Mauss) فإنه قد يحصل لنا الانطباع منذ اللحظة الأولى من أنه يمكن لنا اختزال مفهوم الكلية في بُعد واحد نزعم أنّه المحدّد في آخر التحليل مثل بنية اللغة عند سوسير أو بنية الاقتصاد أو نمط الإنتاج(Mode of production) عند ماركس أو بنية الليبدو (Libido) عن فرويد أو المرفولوجيا (Morphology) عند دوركهايم و موس.

و لكن هذا الانطباع سرعان ما ينجلي و يتبين لنا من خلال ما دار من سجال طوال القرن الماضي أن الكلية لا تُدرك كلّها و لكونها كذلك، فهي بالضرورة نسبية كما يقول فيبر (Weber) و أن مسألة التكثيف أو التّعميق (Complexification) هي عملية مستمرة لا تنتهي كما يبين ذلك بوضوح غيرتز (Geertz).

اعتمادا على هذه المبادئ الأولية في المنهج، ستكون نقطة الانطلاق هي أن نتوقف في مرحلة أولى، كما هو مترقّب، على مسألة الفهم. و سنحاول أن نرى و أن نتخيّل و أن نستنطق و أن نكتشف أهمّ المتكرّرات في خطابات النّساء و الرّجال على اختلاف فئاتهم العمرية حول مفهوم المرأة القائدة بمدينة جرش و بمدينة الكرك على حدّ السواء و ذلك بالاعتماد على ما تمّ جمعه خلال بحثنا الاثنوغرافي الميداني في هاتين المدينتين الأردنيتين.

عند الظفر بهذا التكرار أو هذا التواتر الذي يعبر أغلب هذه الخطابات، نتعدى عند ذلك إلى المحطة الثانية و ننطلق من ما يسمّيه الفلاسفة بالحس المشترك (Commun sense) أو المتعارف و القاسم المشترك، هذا الذي يسميه لفي استروس (Claude Levi-strauss) "برؤية البدائي" (Primitive vision) او هذا الذي يسميه بورديو (Bourdieu) بالسوسيولوجيا العفوية و هذا الذي يسميه غيرتز (Geertz) بالتوصيف الخفيف (Thine description). قلنا أن المرحلة الثانية تنطلق من هذا التكرار أو هذا التواتر بغية أن نتخطى أو أن نتجاوز هذه الرؤية، رؤية البدائي، إلى ما هو أعمق أي إلى ما يسميه غيرتز بالتوصيف العميق (thick description) مدركين تمام الإدراك أنّ عمليّة إعطاء المعنى أو عمليّة التّعميق و التّكثيف هذه هي عملية لا تنتهي.

و سنستدعي لتعميق المعنى ثلاث مفاهيم أو ثلاث براديغمات (Paradigme)أساسية.

سنستدعي بداية مفهوم الأثنية (Ethnicity) و ما ينتج عنه من ممارسات و خطابات و ردود أفعال ذات طابع أثني معيّن يميّز مجموعة دون أخرى. ففي مجتمعات عشائرية مثل المجتمع الأردني نحن نتوقع أن الاختلافات الأثنيّة، كأن نكون من أصول بدوية أو من أصول حضرية أو أن نكون من اللاجئين و الوافدين من خارج البلد أو أن نكون أصليين أبا عن جدّ للأرض و للديار، كل هذا سيؤثر بالتأكيد في الرؤية التي نحملها للمرأة القائدة او تحملها المرأة القائدة عن نفسها.

سنستدعي، ثانيا، مفهوم رأس المال الرمزي (symbolic capital) بمعنى هذا لمكانة الاجتماعية التي تمنحها الجماعة للفرد نتيجة لما يتمتع به من مزايا، او يقصد به الوضع أو المركز الاجتماعي الذي تتميز به طبقة دون غيرها او افراد دون غيرهم على إعتبارهم وارثين شرعيين لمعرفة او مكانة رمزيّة او سلطة علميّة او دينيّة او روحيّة. وتختلف عن ملكيّة رأس المال المادي الذي يصنع التمايز بناءا على درجة ملكية المال او أدوات الإنتاج المادي..لنرى تأثير هذا الإرث او هذه المكانة على أن تكون المرأة قائدة او أن يعترف لها المجتمع بالشرعيّة او الإستحقاق.

و سنستدعي، مفهوم الجندر (Gendre) بمعنى هذا البناء الاجتماعي التاريخي و هذه الصناعة الكلية للمرأة و الرجل و الأنوثة و الرجولة النابعة من صلب الممارسات و الأسلوب و الذاكرة و الصراعات للمجتمع الأردني لنرى هل سيؤثر هذا المفهوم أو هذا البراديغم (Paradigme) أو لا يؤثر تأثيرا كبيرا في نحت و في خلق و في تصوير المرأة القائدة وفي تصوّر المرأة القائدة لنفسها بالمدينتين.

2- عمليّة إعطاء المعنى أو عملية التّأويل

1.2 رؤية المرأة القائدة وعلاقتها بمفهوم الأثنية (Ethnicity)

تعرّف المجموعة الإثنيّة على انها فئة من الناس الذين يعرفون بعضهم البعض على أساس اوجه الشبه مثل السلف واللغة المجتمع والثقافة، وعادة ما تكون الإثنية حالة موروثة على اساس المجتمع الذي يعيش فيه الفرد. والإنتماء الى مجموعة إثنيّة يميل الى ان يكون محد بالإشتراك بالتراث الثقافي او بالسلف او إسطورة الأصل او التاريخ او الوطن او اللغة او اللهجة او الأنظمة الرمزية(Kuper and Kuper, 2005) .

لقد كان الإنتماء الإثني المتباين بين مدينة جرش التي تعود في اصولها الى الفلاحة ومدينة الكرك المتطورة عن اصول بدويّة اثرا واضحا في الطريقة التي تبنى بها مفاهيم الذكورة والأنوثة في هذين الفضائين .فعلى الرغم من اننا في كلتا الحالتين نتحدث عن حواضر ذات طابع مديني في الظاهر، الا اننا لا نستطيع تجاوز فكرة الذاكرة الإثنيّة وما تحمله من قيم ورموز ومعاني قد تبدو متشابهة في بعض الوجوه لكنها مختلفة حد التناقض في العديد من المظاهر. فالذاكرة الثقافيّة لا تنسى بين ليلة وضحاها، كما انها ليست رداءا يمكن ان تلبسه متى نشاء ونخلعه متى نشاء. وكثيرة هي الدرراسات التي تؤكد أن الهامش والمساحة والفضاء الحر الذي تتمتع به النساء في المجتمعات البدويّة يكون اكبر وأرحب وأكثر تسامحا مع النساء من ذلك الذي تتمتع به النساء في المجتمعات الفلاحيّة. ,وإذا ما عدنا لكتاب انجلز الشهير حول اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة (1884,Engels) سنجد أن فكرة إنحسار سلطة النساء التي عرفت في المجتمعات الأموميّة ارتبطت الى حد كبير بظهور المجتمعات الزراعيّة. فمع اكتشاف الزراعة ظهرت الملكية الخاصة وهذا ما أدى إلى وقف الترحال وبدء التأسيس لبناء منازل قريبة من الأرض أو على الأرض، وهكذا بدء ظهور الأسرة وبدأ ظهور الأسرة الذكورية تحديدًا التي تسمى اصطلاحا المجتمع البطريركي، وبذلك لم تختفي المجتمعات الأموميّة فحسب بل الحقت النساء بملكية الرجال. ثم يأتي كتاب مالوري عن الصحراء الباردة ليقول أن اكثر ثقافة اعطته درسا في حقوق الإنسان هي ثقافة الأسكيمو، وذلك لأن هذه الثقافة لا تعرف تراكم الثروة ولا تعرف الملكيّة. (مالوري، 19..)، ولا ننسى جرمان تيون في كتابها الشهير الحريم وأبناء العم عندما ربطت ظاهرة حجر النساء وتعاليم الطاعة المفروضة على النساء في المجتمعات الفلاحية لضمان بقاء الملكيّة بيد الذكور من العائلة. (تيون، 2000). وهنا لا يجب التركيز على الجانب المادي دون الرجوع الى التأثير الرمزي على المادي. وهنا يجب العودة الى ماكس فيبر، ولا شك في أن المادي يساهم في خلق ما هو رمزي وثقافي ولكن أيضا لا ننسى أن الرمزي يصبح ذاكرة وأن هذه الذاكرة تملك من القوة والقدرة ما يجعلها فاعلة في صناعة الفعل الإجتماعي بما فيه الفعل الإقتصادي نفسه. وهو بذلك انما ليقول أن البشر لا يتأثرون فقط بالعوامل الاقتصادية، كما هو رأي ماركس، وإنما يتأثرون أيضا بالدين أو بالثقافة كمنظومات رمزيّة. ولقد كان يفسر ظهور الرأسمالية في المناطق البروتستانتية اكثر من من المناطق الكاثوليكيّة بسبب تأثر الناس بالمذهب البروتستانتي الذي يقدس العمل ويرفع من قيمة الإدخار وعدم الإسراف دون ضرورة (فلوري، 2008).

إن فكرة ارتباط تهميش النساء بظهور الزراعة والاستقرار والملكيّة ربما تساعد في تفسير هامش الإمتيازات الذي تتمتع بها المرأة البدويّة بالمقارنة مع المرأة في المجتمعات الفلاحيّة. فدور المرأة البدوية الاقتصادي من خلال قيامها بممارسة الأعمال المختلفة، وخصوصا الإنتاجية يمنحها دورا كبيرا في المشاركة بالقرارات الأسرية والمنزلية، كما يمنحها شعورا بالاستقلالية، والإحساس بالقيمة والعطاء، فمشاركة المرأة في القرارات الأسرية يأتي من إسهامها في تأمين حاجات أسرتها ومنزلها، مما يضعها في حالة من الاستقلالية والثقة بالنفس، وعدم الاعتماد على الآخرين. كما يصف لوي جاك روسو Russo)ا(ن امكانيّة التعارف والإختلاط بين النساء والرجال من خلال مواقع الماء والرعي. وكيف ان هذا الإختلاط الذي تفرضه طبيعة العمل خارج المنزل يوفر هامشا لحرية المرأة البدويّة وتنقلها خارج المنزل. وعليه، نحن نتحدث عن فضاء مورفولوجي مفتوح وحرو وواسع على خلاف الفضاء المقيد والضيق والمراقب نسبيًا للنساء في المجتمعات الفلاحيّة. (روسو، 1808).

وهذا ما تؤكده دراسات الكثير من المستشرقين مثل آن بلانت (1879,Anne blunt) إذ تقول " إن النساء في المجتمعات البدويّة لا يُحجر عليهن، أو يُوضعن تحت الحظر ِوالمراقبة. كما تتمتع زوجات وبنات وامهات شيوخ القبائل بالراحة والإسترخاء بفضل توفر القدرة على استخدام العمال والعاملات من افراد القبيلة لخدمتهن." كما تضيف أن المرأة البدوية تضطلع بدور كبير في البادية؛ إذ تُستشار حتى في القضايا المهمة. وكثيرة هي الحالات التي تكون فيها السلطة السياسيّة على القبيلة بيد زوجة او ام او ابنة الشيخ، وان هذه النماذج كانت تحكم من خلال التواجد في فضاء الرجال (المضافات) وفي موقع إجتماعي يمكنها من سلطة فوق سلطة جميع الرجال في القبيلة. "

إن هذه الرؤى المختلفة بين الإثنيات المنحدرة من أصول بدويّة وتلك المتحدرة من أصول فلاحيّة سوف تقودني الى معاني ومفاهيم مختلفة للقيادة وشروطها وظروف خلقها وصناعتها وإرتباطاتها بعمليّة بناء الجندر بين ثقافتين مختلفتين. وإذا ما عدنا الى الميدان نجده زاخرا بالعديد من الأمثلة والدلالات والرؤى والخطابات التي تفضي الى هذه الحقيقة. إذ أن الشروط الإجتماعيّة لتعيين قائدة في مدينة الكرك المتطورة عن أصول بدويّة كانت تبدو كريمة ومتسامحة مع وجود النساء في مواقع القيادة او في الفضاء العام. ولقد كان ذلك جليا اولا في غزارة او كثافة تعيين أسماء لقائدات من الماضي والحاضر والمستقبل، ففي الوقت الذي تم فيه تعيين اكثر من 3 قائدات من الماضي كقيادات تاريخيّة واكثر من 24 قائدة من الحاضر وما يزيد عن 15 قائدة واعدة في مدينة الكرك. بدت الذاكرة في مدينة جرش شبه خالية من شخصيات نسائية تاريخيّة مؤثرة كما كانت المخيّلة الشعبيّة شحيحة

في تعيين قائدات شابات للمستقبل.

هذا الهامش من الحريّة وهذا التسامح مع وجود المرأة في الفضاء العام في مدينة الكرك يعود ايضا في جزء منه الى حقيقة التنوع الإثني الذي يتميز به مجتمع الكرك(Multi culturalism) وذلك لوجود المسيحيين الذين يشكلون اكثر من ثلث العدد الكلي للسكان. وما ينتج عن هذا التنوع من تكريس للحريّة وقبول الآخر والتسامح كقيم إجتماعيّة. فالكل يجب أن يتسامح مع الكل ويقبل الكل ويعطي المساحة للكل. ولا إحتكار لجهة واحدة لإنتاج الحقائق الإجتماعيّة بسبب تعدد الرؤى وتنوع الخطابات. في حين لا وجود لهذا التنوع الإثني الذي يساهم في صناعة الذاكرة والتمثلات في مدينة جرش التي يشكل المسلمين اكثر من 98 % من سكانها. كما انها تعد من المراكز الرئيسيّة في المملكة لنشاط حزب جبهة العمل الإسلامي او جماعة الأخوان المسلمين مما يعني غياب التنوع والإحتكام الى مصدر واحد اوحد لإنتاج الحقائق الإجتماعيّة. ناهيك عن وجود تاريخ عريق وقديم لتعليم البنات في هذه المدينة حيث كانت اول مدرسة يتم إنشائها في الكرك للبنات في العام 1930. وهي مدرسة نجحت في تأسيسها معلمة تدعى قمرة القسوس وهي معلمة مسيحيّة إستطاعت ان تنشىء هذه المدرسة بمبادرة منها وبمساعدة من الإرساليات التبشيريّة الأوروبيّة في المنطقة في ذلك التاريخ.

ووفقا لكلام المبحوثين أن هذه المدرسة كان لها الفضل في محو الأميّة وتعليم البنات في الكرك في الوقت الذي لم تكن المملكة تعرف إلا المدارس المختصة بتعليم الذكور. هذا يعني اننا نستطيع القول ان مدينة الكرك تميزت بإرث ثقافي تعليمي انخرطت فيه الإناث في وقت مبكر سبقت فيه مدينة جرش التي لم تعرف تعليم البنات الا في بداية الستينات من القرن العشرين. رئيس البلديّة " .كثير عندنا سيدات درسن في روسيا وفي ايطاليا وفي فرنسا، على حساب الكنيسة والإرساليات التبشيريّة للفرانسيسكان في الكرك".

لقد بدى ذلك واضحا في ان مفهوم القيادة لدى جماعات التركيز في مدينة جرش إتخذ لونا يكاد يكون واحدا في تحديد مفهوم القائدة، فجاء التركيز على دور الأم التي تضحي لتنجح في تربية ابنائها، او المعلمة الفاضلة او مديرة المدرسة التي تضبط الطالبات وتحرص على تنشئة البنات وفقا لشروط المجتمع المحافظ. او رئيسات الجمعيات الخيريّة اللواتي يعملن على رعاية الفئات المهمشة من الأيتام والأرامل والفقراء. و غلبت على القيادة النسائية في مجتمع جرش سمة التربويات وخاصة تلك الفئة من ذوات التوجه الديني المحافظ في الوقت الذي غاب هذا النموذج تماما عن مجتمع مدينة الكرك. كما جاء الإعتراف بقدرة المرأة على القيادة شحيحا او منكرا او ضعيفا في أحسن حالاته، فكانت تتردد عبارات من قبيل رجل : " الرجل يمتلك صفة الوجاهة والفخامة اكثر من المرأة وأعتقد ان هذا في طبيعة الرجل " امرأة :" في مجتمعنا الرجال شخصياتهم اقوى ويفهم بالحياة اكثر ولذلك برأيي يفضل ان يكون هو القائد" شاب: " انا ارى ان عاطفة النساء تمنعها من منافسة الرجال غي مجال القيادة. ومهما حاولت النساء التصنع بإخفاء العاطفة الا ان المواقف تكشفها" او " الست هدى والست انتصار (مديرات مدارس من التيار الأسلامي) كانوا مؤثرات من جميع النواحي حتى بأسلوب التدريس، وبإسلوب الإقناع، على سبيل المثال كنَّ لا يبذلن جهدا كبيرا في إقناع الطالبات بإرتداء الحجاب والجلباب " شاب: " هذه النائبة كان لها تأثير سياسي كبير جدا داخل مجلس النواب، حيث قادت حملة كبيرة ضد من كانوا يريدون حذف بعض الأحاديث والآيات القرآنية من كتب العلوم واللغة العربيّة. يعني منعت تغيير المناهج وتصدت للعلمانيين"

شاب: "الست هدى افضل من الإستاذة وفاء على الرغم من ان الثنتين يعملن نائبات في البرلمان. لأن الست هدى ذات منهج واضح هو منهج الإسلام. ام النائبة الاخرى بمنهجها متأرجح او غير واضح. رجل: " انا اريد ان اتحدث عن تجربة ولا بد ان اقول ان الإسلام هو ديننا وانه كرّم المرأة وأعطاها كل حقوقها ولكن دائما الإعلام يظهر المرأة المسلمة على انها مهضومة الحقوق. انا ارى ان النساء لديهن مجالات كثيرة لتبرع في قيادتها وأهم هذه المجالات هي التربية والتعليم وأرى ان النساء في جرش ابدعن فعلا في هذا المجال، وهذا برأيي يعني انه ليس بالضرورة ان تنافس المرأة الرجل في القيادة السياسيّة ". أمرأة : "هنالك نساء كثيرات يصلحن للقيادة لكن الرجال لا يسمحون للنساء بالظهور. مجتمعنا ذكوري مع احترامي للاخوان الرجال الجالسين معنا ". " رجل " انا ارى ان مدارس الإناث انجح بكثير من مدارس الذكور. لأن النساء ابرع في التربية والتعليم " إمرأة : " كان كل الناس يتنافسون على ارسال بناتهم الى مدرسة الست انتصار التي ربت معظم الجيل الحديث على تعاليم وأخلاق الإسلام. " رجل: " أنا برأيي الأمومة بالبيت هي اهم قيادة، المرأة الناجحة قائدة في بيتها وعائلتها لمّا بتربي عيلة، بتطلّع شباب وبنات ناجحين، هاي أعظم قيادة". رجل: "المرأة تكون قائدة في بيتها والقيادة لا تعني ان أكون صاحبة الأمر والنهي لأ ن قيادة المرأة يجب ان تكون بالتشاور والمحبة والإيثار والعطاء والتضحية أكثر من الأخذ".

وهنا تظهر الإشادة بدور الحارسة الأمينة للثقافة كنوع من المصادقة والشرعنة وإعطائها الأفضليّة للتمتع بصفة القائدة بسبب حزمها مع الطالبات وضبطها للأخلاق المحافظة وقيامها بالدور التحصيني للحريم وحمايتهن. او ان هذه الشهادة تعطى للأم التي تربي وترعى وتضحي. اي بمعنى آخر كلما كانت القائدة حارسة أمينة تسهر على حماية حدود الثقافة وعملت على إعادة انتاجها وفقا لشروط الهيمنة، كلما حظيت بالإعتراف والشرعيّة والتأييد.

وكانت تتردد على السنة المبحوثين عبارات من قبيل النساء ناجحات في " القيادة تربوية والقيادة خيرية وقيادة المنزل". وفي هذا كلّه كان صوت النساء اما متفق او مسالم اوصامت. او كان في اقوى حالاته مضاد ولكن بحذر وإحتشام. كأن تقول امرأة في الأربعين وعضو مجلس بلدي بالرد على رجل يقول ان المرأة لا تصلح للقيادة لأنها قد تضطر للخروج من بيتها ليلا " لماذا لا تستطيع المرأة الخروج بالليل؟ انا اقول تستطيع ولا مانع ما دامت بصحبة زوجها او ابنها او اخيها ".

كما بدا واضحا أن الشخصيّة الوحيدة التي ظهر عليها الخلاف في مجتمع جرش هي شخصيّة المحامية النائبة التي عبر الكثير من المبحوثين عن شعورهم بعدم الرضا بسبب عدم وضوح المنهج الذي تسير عليه. وترددت بشأنها عبارات من قبيل " امرأة شخصيتها قويّة ولكن لا تمثلنا، او خطها غير واضح، بينما خط النائبة الأخرى اسلامي وواضح أو فقط هي تخدم أقاربها بينما النائبة الأخرى تخدم الجميع " اي بمعنى آخر كان مجتمع الدراسة يتعاطى مع هذا الإسم وكأنه صوت خارج عن السرب وغريب وغير مرحب به. وعلى الرغم من قوة حضوره الا انه كان بنظرهم صوت نشاز لم يقم بالدور المطلوب منه في حراسة الثقافة كما ترضى وتريد الجماعة.

وحتى في الحالات القليلة التي ابدى فيها بعض المبحوثين إعترافا بقدرة او أحقيّة المرأة في القيادة وتسامحا مع حضورها في الفضاء العام، وجدنا هذا الصوت مواربا يشي باللا إعتراف وإن إعترف. او في أحسن حالاته يعترف ولكن من خلال شروط ثقيلة تعيد المرأة في كل مرّة الى حدود البيت والى حدود الأدوار التقليديّة والى حدود الفضاء الخاص. بمعنى ان هذا الصوت كان يقول لكي لا يقول. رجل: " أنا لا أزال أقول أن المرأة لم تأخذ فرصتها على نحو حقيقي و على نحو واقعي بسبب الموروث التاريخي للأسف زرع فينا فكرة ان المرأة لا تصلح وانها للبيت فقط. لأ بالعكس أنا بقول أنا منحاز للمراة والله حقيقة على نحو عام لأنها هي اللي أنتجت ابنائنا و هي عندها قدرة على إدارة البيت على نحو صحيح. مثلًا عندها قدرة على إدارة أي عمل يناط بها على نحو رسمي والموروث التاريخي يعطي امثلة مشرقة على نساء كن يشاركن بالمعارك في اطعام الجيش وأسعاف المرضى". رجل: "أنا بالنسبة إلي أقر وأعترف ان المرأة عندها ثلاث اضعاف قدرات الرجل لأن العاطفة عند النساء ثلاث أضعاف ما هي موجودة عند الرجل. لذلك هي انجح في التمريض مثلًا، وعلى مدى التاريخ لم نجد أنثى قادت دولة عظمى مثل أمريكا وروسيا وفرنسا، لا يمكن تكون المراة في مواقف عسكرية جامدة او تقرر سياسات دولة ضخمة مثل الدول العظمى مثل الصين مثل إيران مثل الدول العربية حتى. لا يمكن أن تكون امرأة تقود جيش أو تعطي قرارات حاسمة وتدير الأمور بقوة. واذا نجحت مثلا في بريطانيا والمانيا فهذه نسبة قليلة وغير دالّة" شاب " مثلًا المرأة لا تصلح ان تكون وزيرة اشغال لأن ثلثي وقت الوزير يجب ان يكون في الميدان. المرأة لا تليق لمثل هذه المواقع ولكنها ربما تصلح لأن تكون وزيرة تنمية إجتماعيّة او وزيرة اتصالات".

اي بمعنى آخر كانت القائدة بنظر الثقافة الشرعيّة في مدينة جرش تبدو أكثر إنصياعا لشروط الرضا الذكوري وإملاءآته الإجتماعيّة. فجاء تعيين القائدات على النحو التالي. (الست حواء من قيادات الماضي معلّمة، صباح شيخو مديرة مدرسة، انتصار الصمادي مديرة مدرسة، كوكب حداد وعفاف حداد مديرات مدارس، عدويّة هنداوي، مديرة مدرسة. هدي العتوم نائبة في البرلمان الا انها كانت مديرة مدرسة لأكثر من 28 عام ومؤسسة رئيسية لنقابة المعلمين. عفاف النظامي عضو مجلس بلدي لكنها خدمت كمعلمة لمدة تزيد عن 25 عاما. ولم يتم تعيين أي قائدة خارج هذا الإطار الا نائبة في البرلمان كانت سابقا محامية. ومن الجدير بالذكر انها لم تكن تحضى بقبول واتفاق الجميع، بل انها اثارت جدلا كان يشي بخلاف ظاهر على شرعنة او استحقاق هذه الشخصيّة لصفة القائدة. ولقد ظهر هذا الخلاف بين اعضاء مجموعات التركيز من كافة الأعمار ومن كلا الجنسين.

في حين جاء تعيين القائدة في مدينة الكرك اكثر كرما وتنوعا، فظهرت الى جانب المرأة الأم او المربيّة القائدة، القيادات الإقتصاديّة (خضرا مطارنه) ورائدات المشروعات التجاريّة (رحاب الشمايله وام بكر) ومديرات الأشغال(لمى المجالي) ومديرة ضمان إجتماعي(مي القطاونه)، ومديرات التربية والتعليم (صباح النوايسه)والنائبات في البرلمان (زكيّة الشمايله)وشيخات القبائل (عليا الضمور ومشخص المجالي، والكاتبات (زهور الصعوب)، وقائدات مسيرات الإحتجاج ومؤسسات نقابة للمعلمين (أدما زريقات)، رئيسات الجمعيات (احلام المسنات) والمذيعات (تقوى البطوش) ومديرات صناديق الإقتراع في الإنتخابات النيابيّة (صباح النوايسه). والناشطات النسويات (نايفه المجالي) والقيادات الريادّية والمدربات الدوليات (ليان الجعافره، تقوى البطوش، وهبة سوتل، ويارا جعافره)(والبطلات التاريخيات (مشخص المجالي وعليا الضمور)، ورئيسات البلديّة (عايدة الدعيسات)وقيادات يصعب تصنيفها او حسابها على ميدان محدد بسبب تعدد المجالات والفضاءات التي برزت فيها مثل (ختمة الطراونة)، ومؤسسة اول مدرسة في الكرك عام 1930 (قمرة القسوس) بالإضافة الى شخصيّة الفدائية تيريز هلسة التي نجحت في إختطاف طائرة إسرائيليّة وقضت معظم عمرها في سجون الإحتلال. كما تنوعت هذه القيادات بين الديانتين المسيحيّة والمسلمة ومن مختلف العشائر وحتى من اللاجئات السوريات. وجاء صوت الإعتراف بقيادة النساء عاليا وقويا من كلا الطرفين، رجالا ونساءا " رجل: " الكفاءة هي التي تحدد من هو القائد" شاب " الظروف الإجتماعيّة هي التي تمنع المرأة من تولي القيادة وليس اي شيء آخر" رجل اربعيني " الموروث الثقافي يعيق النساء من الحركة ومع ذلك تبرز قيادات عديدة وناجحة" إمرأة اربعينيّة " مع احترامي الشديد للرجال انا قدت مناظرة كان السؤال الرئيسي فيها لماذا لا نسلم النساء القيادة وكان دائما الجواب ان المرأة عاطفيّة، انا اقول ان معظم الابحاث تثبت ان النساء اكثر التزام ودقة وتركيز في العمل بنسبة 62 %. اين هي العاطفة اذا؟" شابّة: " امور العاطفة لا تؤثر في عملي بالنسبة لي اقوم بعملي وانا افكر بعقلي وليس بقلبي. العاطفة حاطها عجنب، ثم من قال أن الرجال غير عاطفيين؟؟ ". امرأة " اريد ان اعقب على كلام الدكتور الذي يقول ان المرأة يجب ان لا تتساوى مع الرجل انا اقول له المرأة التي تدير البيت وتقوده للنجاح وتقود الرجل الى النجاح برأيي هي متفوقة على الرجل ". رجل " المرأة قد تتفوق على الرجل في القيادة وذلك لانها تستشير قبل ان تتخذ قراراتها وهذه سمة القائد الجيد (امرهم شورى بينهم) وفي القرآن دليل على ذلك من خلال قصة بلقيس التي كانت تستشير الملأ قبل ان تتخذ قراراتها "..

ويمكن القول أن هذا الهامش الواسع من التسامح مع خروج المرأة الى الفضاء العام في مدينة الكرك كان واضحا حتى في أثناء عمليّة التفاعل بين

الرجال والنساء في مجموعات التركيز، ففي الوقت الذي تكلمت فيه المرأة الكركيّة وتكلمت بقوّة، تركت النساء الجرشيات الكلمة نسبيا للرجال، كما جائت مداخلاتهن خجولة ومترددة او مهادنة ومتفقة مع ما يقوله الرجال. ولقد كان هذا الإنطباع واضحا في كل جماعات التركيز من شباب وكهول وشيوخ.

لقد كانت القائدة في جرش منصاعة أكثر لشروط الرضا الذكوري واشتراطاته الاجتماعية؛ حيث كان يتكرر تعبير (فلانة قائدة حقيقيّة او فلانة سيّدة عظيمة) كلما اقتربت من نموذج المرأة الأم وابتعدت عن نموذج المرأة المواطنة، وكان لسان الهيمنة يقول: " كلما كانت المرأة منصاعة لشروط الهيمنة هي بالتأكيد عظيمة"، لذلك كانت كفة النموذج المعيّن من قبل جماعات التركيز يميل الى شخصية القائدة التي تكفل اعادة انتاج الذكورة والانوثة وفقًا لشروط الهيمنة، في الوقت الذي كانت فيه شخصية القائدة في مدينة الكرك تتماهى اكثر مع شروط الذكورة في انتاج الذكر القائد وليس المرأة القائدة وفقا لشروط الذكر، كما الحال في مدينة جرش.

2.2 رؤية المرأة القائدة وعلاقتها برأس المال الرمزي والثقافي

يقول بورديو الارث يرثنا ولسنا نرثه. وفي كتابه "الورثاء" يبين بورديو (Bourdieu) أن "الثقافة تذهب إلى الثقافة كما يذهب المال إلى المال" (و العبارة لبورديو) وان النجاح، والتميّز في الخط الرئيسي العام، هو حليف من يرث الثقافة (بورديو وباسرون، 2007) أكثر منه حليف من لا إرث ولا حرث له حتى و إن ثابر و كابد وسهر الليالي لكسب الثقافة. إذ أن هذه الأخيرة ليس مكتسبة كما تعلمنا ذلك في المدارس والجامعات بل هي "جبّلة فينا" إن صحّ القول ليس بمعنى أنّها توجد فينا بحكم الوراثة بل بمعنى انها توجد فينا بالورثة الاجتماعيّة والتاريخية. فالثقافة ليس جبة نلبسها ونخلعها متى نريد بل هي وضعية اجتماعية ترثنا أكثر مما نرثها. و من هذا المنطلق، فالمعرفة أو الثقافة تأخذ بالورثة اي بالانتماء إلى وضعيّة إجتماعية معيّنة أي بالإرث و بالملكية أكثر منها بالمثابرة و المكابدة و العمل الدّءوب.

هذا يعني ان القادة والناجحون والمتميزون لا ينطلقون من الصفر كما لا يأتون من الفراغ بل من رأس مال رمزي وثقافي متين يمكنهم من الإنطلاق بخطىً ثابته نحو التميز والنجاح. على هذا النحو يمكن تعريف الرأسمال الثقافي بمجموع المنابت والينابيع والمصادر الثقافية التي ينهل منها الفرد وتتوزع الى العادات والتقاليد والأعراف والسرديات والأساطير والرموز والدين والفنون. كما يعني جملة المؤهلات الفكرية التي ينتجها المحيط الأسري والنظام التربوي وتشكل أحد أدوات التحكم والتوجيه والتأثير في الفرد ويتم مراكمتها عبر الزمن وتمريرها من شخص الى آخر عن طريق المحاكاة والمشاركة والتقليد ويمكن كذلك نقلها من جيل الى آخر عبر آلية اعادة الانتاج والتوريث النفوذ (بورديو، 2007)،. كما يعرّف الرأس مال الرمزي بالمكانة الإجتماعيّة التي تمنحها الجماعة للفرد نتيجة ما يتمتع به من مزايا ويقصد بها الوضع أو المركز الإجتماعي(المصدر السابق) . أي أن بورديو أرجع التمايز الى التاريخ وإلى الثقافة وإلى الظروف الاجتماعية أي إلى سلسلة الممارسات الثقافية الأخرى. او لنقل بكلمة واحدة إلى نمط العيش للقوى الاجتماعية الفاعلة في حلبة الصراع الاجتماعي.

من هذاالمنطلق، تعمل الثقافة العامة التي يستمدّها الفرد من البيت او العائلة او الطبقة كرافعة او كدعامة تساعد الفرد على التميز والنجاح في المدرسة أو في الجامعة او في الفضاء العام. وعليه فإنه يصبح من المتوقع لهذا الوارث لمهارات تميزه عن غيره ان يكون أكثر ثقة بالنفس وأكثر امتلاءً وأكثرمرونة وأكثر ذكاءا، وهكذا أكثر قدرة على التأثير والقيادة.

وفي ما يتعلق بهذا الشأن، علينا أن نتوقف هنا ولو لوقت قصير على أهميّة العائلة في تمرير اختصاص أو مهنة أو فنّ من جيل لجيل. يقول العرب: " من شابه أباه فما ظلم" ويقولون أيضا " هذا الشبل من ذلك الأسد." والمقصودمن هذه المقولتين أنّ العائلة هي نواة تطبع الفرد بثقافته وتعمل على إعادة إنتاج نفسها من جيل لجيل. حتى يكاد يكون الفن او الإبداع او الصنائع محتكرة في طبقة او اثنيّة او عائلة معينة. اي اننا يمكن ان نقول أنّ الإبداع لا يولد في الفضاءات العامّة اوفي المدارس او الجامعات وإنّما في هذه الفضاءات الصغيرة . او تلك التي نسمها بالأسرةاو العائلة أو بالقبيلة،هذا يعني بالضرورة أن التميز والإبداع والقيادة والزعامة والقدرة على التأثير هي شجيرات لا تنبت في الصحار ي والأراضي القاحلة وإنما تحتاج تربة خصبة وغنيّة لتنمو فيها وتزدهر.

لقد استدعينا هذا البراديغم من أجل التحقق من تأثير الرأس مال الرمزي والثقافي ككلية خارج النص تؤثر سواءا في تعيين الناس للقائدة والإعتراف بشرعيّتها وإستحقاقها لهذا التوصيف. او كعامل إجتماعي مؤثر في مسيرة القائدة نفسها والمساهمة في بنائها وصناعتها كهوية مفردة بالجمع.

وبالرجوع الى ميدان الدراسة سواءا في مجتمع مدينةالكرك او في مجتمع مدينة جرش نجد أن القائدات على إختلاف ميادين التخصص او مستوى التعليم او الأعمار او كن من الماضي او الحاضر او مرشحات كقيادات مستقبليّة، كنَّ في الخط الرئيسي العام متحدرات من أسر تملك من رأس المال الثقافي والرمزي الشيء الكثير. وربما كنا قد غطينا جانبا لا يستهان به عندما تعرضنا لموضوع الإثنيات وقوة تأثيرها ليس فقط على عمليّة تفويض القائدة والإعتراف بشرعيتها وبسلطتها من قبَل الناس،بل أيضا على صناعة القائدة نفسها.

وإذا ما عدنا الى الميدان سوف نجد أن القائدات اللواتي تم تعيينهن في مجتمعي الدراسة كنَّ في الخط الرئيسي العام يتمتعن برأس مال رمزي لا يستهان به. فعلى مستوى التحصيل العلمي كانت أكثر من نصف القائدات يحملن درجة الماجستير اوالدكتوراه، كما كن ينتمين الى أصول عائليّة تمتاز

أما بإرتفاع المستوى العلمي او المادي او متحدرات من بيوت عرفت الزعامة كابرًا عن كابر. كما تميزن بصفات جامعة كالكرم، ومساعدة الناس وأغاثة المحتاج والبلاغة في القول والقدرة على الخطابة. وهي في مجملها صفات نبيلة لا يمكن ان تكون وليدة الذكاء او الحظ او الصدفة. انما هي ورثة إجتماعيّة تتحلى فيها فئات وطبقات إجتماعيّة دون غيرها. ومن هنا كان إعتراف الجماعة مرهونا بهذه الورثة. فكانت تتردد عبارات محددة في وصف القائدة مثل " اصيلة. منبتها طيّب، بنت ناس، بنت عائلة كبيرة، كريمة، نشميّة، متواضعة، تشارك الناس همومها، تغيث المحتاج. صاحبة مبدأ، فصيحة، مثقفة، متكلمة،مفوهة ومقنعة، صاحبة دين ومبدأ ثابت " جدها كان قاضي عشائري، ابوها كان وزير، كان ابوها خطيب جامع وفقيه معروف ".

اما في ما يتعلق بالقائدات انفسهن " قائدة (الكرك): " انا انتمي لبيت فيه الكل متعلم تعليم عالي، وأبي كان مدرسًا" قائدة (الكرك) " انا من بيت يشجع على العلم، وزوجي كان أحد قيادات حزب البعث الإشتراكي". قائدة من جرش: " ابي كان يملك سلسلة مطاعم وكان يعتمد علي في جرد الحسابات." قائدة (جرش). " ابي من وجوه العشيرة وتاجر معروف " قائدة من جرش:" انا بنت الإمام الفقيه المعروف فلان".

وحتى عندما سألنا عن سر اتفاق الناس في مدينة الكرك على شخصيّة إمرأة بسيطةو فقيرة لتعيينها كقائدة رد علينا احد سكان القرية بالقول :" هذه السيّدة ما كانت مجبورة على تحمل كل هذه المتاعب، فهي ابنة رجل كانوا يسمونه ذئب السريّة لشجاعته، اما جدها فكان قاضي عشائري معروف في كل المنطقة. امها ما كانت مميزه مثلها، الا انها اخت حابس المجالي وهو زعيم معروف على مستوى المملكة. وكان وضع اهلها المادي ممتاز ولكنها كانت فقيرة لأنها عزيزة النفس وترفض مساعدة الاهل. وطبعا هنا النساء لا يقاسمن بالميراث بسبب العادات والتقاليد. وفي الستين من عمرها التحقت بمدرسة محو الاميّة واصبحت تقرأ وتكتب ".

كما ظهر التقدير للقائدات اللواتي وصفن بالكرم على الناس سواءا بالمال او المساعدة على ايجاد وظيفة او بكرم الأخلاق والتواضع والتعاون والإستماع لشكوى الفقراء والمستضعفين او حتى التواجد بين الناس لتقديم الوعض والإرشاد الديني. فترددت اقوال مثل " السيدة انتصار الصمادي انها سارت على نفس خطى السيدة هدى العتوم فهي ايضا واعضة وهي متدينة وتلبس الخمار وأشتهر عنها ضبط الطالبات وهدايتهن الى الطرق القويم وهكذا استطاعت ان تجتاز الاختبار ورضا الله اولا ثم رضا الناس". أو " السيدة جليلة نجحت في انتشال اسر فقيرة من الفقر من خلال تشغيل البنات في مشروعها الإنتاجي "او " الحجة ختمة كانت تطرق ابواب بيوت المسؤولين من أجل توظيف الشباب بوظائف جيدة" او " السيدة هدى وقفت في وجه العلمانيين الذين ارادوا ان يحذفوا الآيات القرآنية من كتب العلوم والرياضيات" .او عندما تقول إحدى القائدات " لم اتوقف عن الوعض والإرشاد لأن الوصول الى الناس عن طريق توعيتهم وتحفيز الوازع الديني عندهم. وان تقول لهم الله يسمح او يمنع خير من ان تقول لهم ان القانون يسمح او يمنع. بمعنى ان (قال الله وقال الرسول) اقوى بكثير من المادة القانونية. الدولة في مجتمعنا ما زالت جسد غريب " .او" ان المعلمة أدما زريقات نجحت في ان تقود مسيرة المعلمين من الكرك وحتى عمان سيرا على الأقدام بهدف تأسيس نقابة للمعلمين ".

هذا الرصيد الرمزي الذي شهد به الناس للقائدات كان بمثابة الرهان او الإختبار الذي إذا ما تجاوزته القائدة بنجاح وإقتدار عُد في رصيدها الذي سوف يمكنها من النجاح بهذا الإختبار.

3.2 رؤية المرأة القائدة و علاقتها بمفهوم الجندر (Gender)

لقد إرتأينا أن نستدعي مفهوم الجندر بمعنى البناء الإجتماعي او الصناعة الكليّة لمفاهيم الأنوثة والذكورة لنرى كيف تتم هذه الصناعة وما هو تأثير هذا البراديغم على نحت وتشكيل وبناء الجندر، وما هو الأثر الذي تمارسة طريقة صناعة الجندر على تمثّل الناس للقائدة وتمثّل القائدة لنفسها في المدينتين (جرش والكرك).

لقد كان من اللافت لدى استجواب المبحوثات من كلا المدينتين ومن كافة الفئات العمريّة ان ترددت عبارات تفيد بنسبة تفوق التسعين بالمائة بتأثر القائدة بشخصيّة الأب. كما كان من اللافت أيضا ان هذه الشخصيات القياديّة لم تكتفي بإبداء إعجابها بالأب بل أن معظم القائدات كن يرجعن سبب نجاحهن لدعم الأب وحب الأب وتشجيع الأب. كما كان من الواضح تأثر القائدات بقدوة هي على الأغلب من الرجال ولم تكن من النساء. بل على العكس كانت معظم القائدات يصفن امهاتهن بصفات تراوحت بين الضعف والخضوع والطاعة والحنان والخوف. كما ظهر من الواضح تأثر معظم القائدات بشخصيات لرجال سياسيين او عسكريين بارزين ويتمتعون بصفات كارزماتيّة ومؤثرة في الوقت الذي لم يتوقفن إلا ما ندر عند شخصيات قياديّة من النساء. وحتى ان الصفات والمدائح التي كانت تتردد على السنة المبحوثين في وصف النساء القائدات كانت صفات ذكوريّة بإمتياز. عبارات من قبيل " شديدة، قويّة، حازمة، لا تخاف، شجاعة. ذكيّة. عصاميّة. رجل، أقوى من الرجال. مستقيمة، ملتزمة، عقلانيّة، مقنعة. خلوقة، منظمة، لا تبكي".

قائدة من الحاضر(جرش) " اتعامل مع الكل باحترام مع اميل الى التعامل مع الرجال فهو أسهل واعتقد ان الحالة العقلية عند الرجال أكثر عقلانية وإتزان. سبحان الله العظيم، وأنا أؤمن تمامًا برجاحة عقل الرجل لإنُّه بغلّب العقل على العاطفة. العاطفة موجودة عند الرجل لكنه يغلب العقل على العاطفة، فكثير من قراراتهم عقلانية مستقرة وتخلومن التذبذب. على عكس النساء متقلبات في العاطفة وبالقرارات".

قائدة من الحاضر(الكرك) " ولما اكملت دراستي تزوجت بزوجي الذي يكبرني بعشرين عام لكني قبلت لتأثري بشخصيته حيث كان من ناشطي حزب البعث في سوريا. وتردف " امي كانت كثير عاطفية وحنونه لكن ابوي كان شديد، وتأثرت به كثيراً فلقد كان يحترمني لتفوقي في المدرسة" .قائدة من الحاضر

(جرش)" اعتقد اكثر من شخصية أثرت بحياتي.... مثلا وانا صغيرة كنت احب جمال عبدالناصر وصدام حسين .... لما قتلوا صدام حسين صار عندي شبه انهيار عصبي". قائدة من الحاضر(الكرك) " كان اكثر وزير تربية أثر بي هو د محمد ذنيبات (وزير عرف بشدته وحزمه) احببته لأنه يشبهني بالجديّة والحزم. ولأنه اول وزير يضبط عمليات الغش في الثانوية العامّة. أذكر انه عندما زارنا في الجنوب وسألني عن رأيي بسياسته قلت له نحن رجالك ومن ورائك". قائدة من جرش : " الشخصيّة الاساسيّة التي اثرت بي بكل مراحل حياتي كانت والدي رحمه الله. ثم الدكتور ناصر نواصره وهو نقيب المعلمين، هذه الشخصيّة شخصية قائد حقيقي. قائد استطاع ان يقود حراك المعلمين وباقتدار منقطع النظير. اعتبره الشخصية التي علمتني سياسة"

وفي وصف إحدى قائدات الماضي من قبل أعضاء جماعات التركيز في الكرك ترددت العبارات التالية " كانت تتابع كل شيء الابناء وزوجاتهم والأحفاد وتتابع الأخبار وتنشط في الإنتخابات وتقوم بواجبات العزاء والأفراح ودائما وفي كل مناسبة كانت الحاجة ختمة هي سيّدة المجلس وسيّدة الحديث وتحضى بإحترام الجميع" أحد الأحفاد " بقيت عندها حتى اصبح عمري خمس وثلاثين سنة وكانت لا تسمح لي ان اتأخر خارج البيت وكنت اطيعها ولا اخالف لها امرًا. وكذلك جميع اخوتي. كانت تتمتع بسلطة غريبة" أحد الجيران " لم يصدف ان رأيت الحجة ختمة تبكي، قويّة لا تبكي كبقية النساء. تبكي فقط عند موت عزيز". معظم الجالسين: "شخصيتها قويّة، مقنعة، كنا نخاف منها ونحترمها، حتى ان معظمنا مدخنين ولا نجرؤ ان ندخن بحضورها ونحن رجال لنا مكانتنا في الجيش والمخابرات والامن العام، ونحن بالعادة نخجل ان ندخن امام الرجال وليس النساء". أحد سكان القرية " كانت اشبه برجل، لم تكن كباقي النساء على الرغم من جمالها. كانت اذا ما دخلت باص النقل العام قام الجميع ليعطيها مكانه. وكانت تتحدث بصوت عال مع كل ركاب الباص كما وكأنها تتحدث مع اهل بيتها" .وفي وصف إحدى القائدات التاريخيات " ظهرت بطولة عليا الضمور زوجة الشيخ ابراهيم حين رفضت تسليم الدخيل (لاجيء سياسي) حتى بعد ان هددها الجنود العثمانيون بقتل ولديها، وقالت كلمتها المشهورة " المنيّة ولا الدنيّة " بمعنى انها فضلت موت اولادها على ان تسلم شخص التجأ الى بيتها. ولقد احرقوا اولادها امامها ولم تتراجع".

عند التمعن بكل هذه العبارات نجد اننا أمام منظومة من الرموز والمعاني والدلالات التي تؤدي في نهاية الطريق الى شخصيّة قائد يشبه الأب ولم يخرج من تحت عبائته. وعليه، نحن امام امرأة قائدة لا تتنفس كأمرأة ولكن كضلع من الأب. وهي مؤثرة لأنها بنت الأب، وهكذا هي لا تحمل الا قيم الأب، ولا تتوق الا لسلطة تشبه سلطته، لذلك نجدها تدافع عن منظومته. اي بعبارة أخرى ان القيم التي سوف تحرّك هذه القائدة هي قيم ذكوريّة وليست رؤية نسويّة كما يتوقع البعض. او يتفاجيء عندما يجد أن هذه الشخصيات البارزة والقويّة قد لا تدافع عن مظالم النساء، بل في احيان كثيرة تأتي ضدها. النساء القائدات بهذا لا يسعين الى الثورة على النظام او تفكيكة، فهي بمعنىً أدق رجل بثياب إمرأة وفي العمق تساند فكرة الأب ولكن ليس على نفسها، فهي تريد أن تتنكر لإنوثتها لكي تصبح قائدة، اي رجل. والرجل يمارس سلطته الذكوريّة على باقي النساء. وهذا ما كان يبوح به الميدان، حيث وجدنا ان النساء لا تأتي مع النساء بل تضمن إنتاج وإعادة انتاج الهيمنة وفقا لرؤية الرجال. فهي ليست إمرأة عاديّة، انها قائد ولها على النساء خطاب الذكورة. فهن في نهاية المطاف بنات لنفس التربة والمناخ والأرض والهيمنة وستقول ما يريد الرجل أن يقولة وتفعل ما يرضيه.

وهي عبر هذا كله تلجأ الى المناورة كلما اصبحت تحت ضغط الأدوار التقليديّة للنساء، فنراها تارة تتحمل اعباءًا إضافيّة فتقوم بمضاعفة طاقاتها والعمل لساعات طويلة لتغطي ما يمكن ان ينتج من تقصير بأدوارها التقليديّة، وربما تقوم بدورها ودور الرجل معًا لكي تربح رضاه. وتارة أخرى نراها لكي تتحصل على القبول والرضى والمباركة الإجتماعيّة، تمعن في الطاعة والمهادنة وإظهار الخضوع لكي لا تغضب الهيمنة فتنقلب ضدها. وتارة أخرى نجدها تحاول أن تزيد من سلطتها من خلال امتلاك رأس مال رمزي او مادي جديد، فتسعى الى تحصيلٍ علمي أعلى، او تسعى الى مشروع قد يمكنها من الملكية الماديّة ويعطيها نوعًا من القوّة. اي انها تناور لكي تنجح،فهي تقوم بدور الانوثة لإرضاء النظام والشريك بهدف ان تعود وبسرعة للدور الذي يجعلها تشعر بالثقة والرفعة والإمتلاء و القوة. إحدى القائدات من جرش تقول " وجهة نظري هي ان المرأة اذا ما قدمت واجباتها البيتية كاملة لن يحتج الزوج على خروجها لتؤدي نشاطها. وهذه نصيحة اقدمها لكافة النساء اللواتي يرغبن في القيادة، اذا اردت ان تكوني قائدة يجب ان تضاعفي جهودك ولا تفكري كثيرا بالراحة وهذا يحتاج الى ذكاء. يجب اولا ان تعلمي الاولاد الإعتماد على النفس وليس على الوالدين. وانا نجحت في ذلك. نجحت بذلك بالحب والتخجيل وليس عن طريق العنف. وهنا كنت اخذ دور زوجي داخل وخارج." قائدة من الكرك:" على مستوى الاسرة الزوج لا يتنازل عن البرستيج الخاص به، وهكذا انت مطالبة بتحمل كافة الاعباء داخل وخارج البيت. يعني لكي تنجحي يجب ان تقومي بدورك ودور زوجك معا ودون تذمر"

وعلى الرغم من ان معظم القائدات كنَّ يذكرن ذكوريّة المجتمع كتحدي وكعقبة امام نجاحهن، إلا انهن في المقابل لم يأخذن صف النسويات في النضال ضد هذا النظام، بل على العكس كن على الأغلب يلجأن الى استراتيجيات المسايسة والتوافق والمهادنة مع المجتمع اكثر من المواجهة والإحتدام. كما لم يتوانين عن نقد النشاط النسوي في الأردن في نواحي عديدة. قائدة من الكرك :" انا مثلا لا اؤمن باللجنة الوطنية لشؤون المرأة وبالجمعيات الممولة من الخارج. لأني اشعر انها تنفيعات لفلانة وعلانه من المتنفذات، وتمويلات اللجنة أجنبيّة ، انا ارى ان جمعيتي هذه على تواضعها ربما اكثر تأثيرا. انا أأسست جمعيتي بالاستقلال عن اي مساعدة من المنظمات او المؤسسات النسوية او الاجنبية. انا بتواصل مع جهات داخلية كالتجار الذين يعرفوني ويثقون بي" قائدة من جرش " :انتقد بشده المظاهرة النسوية التي خرجت بقيادة اللجنة الوطنية لشؤون المرأة التي رفعت شعار ان حرمان المرأة من ميراثها هو عنف إقتصادي! لماذا لا يرفع شعار ان حرمان المرأة من الميراث مخالف لاوامر الشريعة الإسلامية؟ اليس ذلك اقرب الى وجدان الناس!".

الخاتمة:

التساؤل عن القيادة و عن القيادة النسائية بوجه خاص يشبه على حدّ بعيد التساؤل عن الإبداع. هل القيادة النسائية بجرش و بالكرك تعني أوّل ما تعنيه الخضوع إلى الفكر المهيمن و الاعتماد عليه على نحو أساسيّ أم أن قيادة النساء هي اندلاع ثورة عارمة و بداية لعهد جديد فيه تضيق الهيمنة الذكورية و ترتبك و تنهار؟ و ما هو الإبداع؟ هل هو خضوع كامل للقيم المهيمنة و إعادة إنتاج لها بطريقة تكاد تكون أوتوماتيكية، أو الإبداع يعني بدرجة أولى التمرّد على القيم لمهيمنة و الخروج عنها من دون رجعة؟ و ماذا نقول لو يكون الابتداع في الخضوع إلى الهيمنة على نحو كامل و في المكوث و الحلول فيها بدرجة يجعل المبدع او القائد يعرف كل الثّقوب و الثّغرات التي من خلالها يمكن له أن يناور ليخرج عنها و يتمرّد و يثور و يأخذ مسافته منها؟ و ماذا لو كانت سلطة النساء تنطلق من الخضوع للهيمنة و من الارتماء في أحضانها وعندما يشتدعودها وتعرف "كيف تُأكل الكتف" تستطيع عند ذلك أن تناور لكي تقول لا وتقلب عليها الطاولة؟ ألا يذكرنا كل هذا بجدلية السيد و العبد لهيجل (Hegel)؟ ألا يذكرنا كل هذا بتكتيك البدائي أي بتكتيك الهنود الحمر إزاء الاحتلال الأبيض : نحن معكم و سنشتغل ضدكم؟

ما الذي مكّننا هذا البحث الاثنوغرافي الذي قمنا به بهاتين المدينتين؟ أول درس تعلّمناه من مثل هذا العمل هو أن القيادة النسائية لا تأتي هبة من السّماء كما تحاول أن يقنعنا الحس المشترك أو الرأي العام و ما ينتج عن ذلك من سرديات ميثولوجية. أكبر درس تعلّمناه من الاثنوغرافيا (Ethnographie) التي قمنا بها هو أن القيادة النسائية هي تجربة وجود تخوضها النساء في حلبة الصراع الاجتماعي. و هي تجربة اجتماعية، اقتصادية، سياسية ثقافية على كل الجبهات. و هذه المقاومة تُبنى و تتكوّن و تتاسّس تدريجيًا و لا تكتمل إلاّ بعد سنوات طوال. و لا نعني بالمقاومة هذا الجانب السّياسي فحسب. بل أنّ المقاومة تعني من بين ما تعنيه أن تكون للنساء وجهة نظر و أدوات لاستنطاق الأشياء و أ ن تكون لهن جمعيات و مؤسسات و مكتبات و فضاءات للتجمع و للقراءة و الكتابة.

وكل قيادة نسائية وكل صراع و كل مقاومة أو بكلمة واحدة كل تجربة أثبات وجود تحمل بالضرورة في طياتها و في ثناياها رائحة الأرض التي جاءت منها و لون الاثنيات التي عبرتها و إمضاء الإرث الثقافي و الصراعات الطبقية و الجندرية التي أنتجتها.

فلقد رأينا كيف أن هذه التجربة كانت تتخفّى و تتقنّع و تناور "أنا معك و أنا ضدك في ذات الحين" بمدينة جرش و لكنّ هذه التجربة في الكرك كان يمكن لها أن تخرج سافرة و لو كان ذلك بشيء من الحياء لكي لا نقول أن تجربة الكرك في ما يتعلق بمسألة القيادة النسائية وفي مسألة الجندر (Gender) تشبه أو تضاهي تجربة ثقافات بلغت فيها هذه التجربة مداها كدول اوروبا الحديثة.

المصادروالمراجع

تيّون، ج.(2000).*الحريم وأبناء العم: تاريخ النساء في مجتمعات المتوسط*.ترجمة: عز الدين الخطابي وإدريس كثير.بيروت: دار الساقي.

روسو، ل. ج.(2010).*رحلة إلى الجزيرة العربية سنة 1808*.ترجمة بطرس حداد.بيروت: الدار العربية للموسوعات.

فلوري، ل.(2008).*ماكس فيبر*.ترجمة، تحقيق: محمد علي مقلد.بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

بورديو، ب. وباسرون، ج. ك.(2007).*إعادة الإنتاج، في سبيل نظرية عامّة لنسق التعليم*.ترجمة ماهر تريمش.بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة.

References

Bourdieu, P., & Passeron, J. C. (1985). *Les héritiers*. Paris: édition Minuit.

Deleuze, G., & Guattari, F. (2000). *Anti – edipus, Capitalism and Schizophrenia*. Minnesota: University of Minnesota.

Engels, F. (2010). *The Origin of the Family. Private Property and State*. London: Penguin.

Malaurie, J. (1985). *The last kings of Thule.* Chicago: University of Chicago.

Mills, C. W. (2000). *Sociological Imagination*. Oxford: Oxford University.

Geertz, C. (2016). *The interpretation of culture*. New York: Fontana Press.

Kuper, A., & Kuper, J. (2005). *The Social Science Encyclopedia.* (2nd ed.). London and New York: Routledge.

Blunt, L. A. (1879). *Bedouin Tribes of the Euphrates*. New York: Harpers & Brothers Publisher.

Katz, E. L., & Paul, L. (2009). *Influence personnelle*. *Ce que les gens font des médias*. Paris: Armand Colin / Institut national de l'audiovisuel.